تعلمت من ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ

(١٠)

٧/ ٨/ ١٤٣٦هـ

المعْلمُ الحادي عشر: التواضع:

وهذا -أيضًا- مما اشتهر عن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وله في ذلك مواقف عدة!

وقد يقول قائل: أوليس هذا أمرًا واجبًا؟ أوليس الكبرُ محرمًا؟ فالجواب: بلى، لكن مرادي هنا التنويه بمزيد من هذا الخلق عند شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولأن التواضع إذا صدر من الكبار له وقْعُه وأثرُه، ويُزْدرَى شرعًا وعقلًا إذا صدر الكبرُ من غير من يُتوقع منهم، فمن الثلاثة الذين لا يكلّمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة: «عائلٌ مستكبر»[1].

وأذكر هنا مواقف مختصرة جدًّا، تناسب طبيعة هذه المقالات:

١. ذات مرة كان الشيخُ يسير في الشارع، فدعاه أحدُ الشباب -وعمره أربعة عشر عامًا- لتناول القهوة في منزله، فدخل الشيخ معه، وسأله عن دراسته، ثم خرج.

---

(١) رواه مسلم (رقم١٠٧)، والعائل: الفقير.

٢. رأيتُ الشـيخَ مرارًا يركب سيارات بسـيطة جدًّا، لا يركبها بعضُ الناس الذين يشـعرون بشيء من الوجاهة أو المكانة، أما شـيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ فلم يكن ممن يبالي بهذه الأشياء.

٣. وأما تواضعه في معاملته للناس، فهذا له مواقف وصور كثيرة منها:

أ ـ مع الأطفال: وهذا أمر معروف عن شيخنا: فهو لا يملك مشاعره تجاههـم، حتى قال بعض الإخوة: إنني إذا كانت لديّ حاجة عند الشيخ، وظننتُ أن الشيخ سـيعتذر -لضيق وقته أو نحو ذلك- ذهبت بأولادي كالشُّفَعاء بين يَدي حاجتي[1].

- ذات مرّة ذهب أحدُ الإخوة ليُصلي مع الشـيخ؛ للسـلام عليه عقب وصوله من أحد الأسـفار، فاصطحب معه أحدَ أطفاله، فلما سـلّم الشـيخُ من فريضته قام هذا الأخ ليصـلي راتبةَ تلك الفريضة، وكان مِن عادة الشيخ أن يصلي الراتبة في البيت، فلما همّ الشيخ بالانصراف -في الوقت الذي كان فيه ذلك الأخ يصلي- ذهب الطفل إلى الشيخ، ودخل في غمرة النـاس، وقال له: والدي يريدك! وأمسـك بثوب الشـيخ حتى جاء به إلى مكان أبيه الذي يُصلي فيه الراتبة، فلم يُفاجَأ إلا والشـيخ قائمٌ على رأسه، والطفل ممسـك به! فقام، وقبّل رأسَ الشيخ، واعتذر منه، وبيّن له أن هذا مِن تصرّف الطفل.
- وكم رأيتُه مـرارًا يُعطي طفلة تقف عند باب الجامع بشـكل متكرر ريالًا، ولربما مازَحَها، وقال: «تريدَنْ ريالًا جديدًا أو قديمًا؟» ثم تقول له: أعطني لأخي، فيعطيها وهو مبتسمٌ منشرحَ الصدر!

(١) مقال للأستاذ سامي الغرير في جريدة (الجزيرة) بعنوان (الجوانب الإنسانية عند الشيخ) بتاريخ ٢٢/ ١٠/ ١٤٢١هـ.

ب ـ مع عامّة الناس: ومواقفه معهم كثيرةٌ، وفي بعضها طرافة، أذكر منها:

١. ما حدّثني به د. علي بن إبراهيم اليحيى[1]، أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حدّثه، فقال: كنتُ في مكة المكرمة في يوم من الأيام، فركبتُ مع سائق أجرة، وكان هذا السائقُ من الأعراب، فلما ركب الشيخ معهُ أخذ يُمازحه، ويسأله، فسأل السائقُ الشيخَ: مَن أنت؟ فقال الشيخ: أنا محمد بن عثيمين! فقال له الشيخ، ومن الأخ؟ فأجابه السائقُ جوابَ الذي يظن أن الشيخ يَسخر منه: معك عبدالعزيز بن باز! فقال الشيخ: أقول لك: أنا محمد بن عُثيمين، فأصرّ السائقُ على جوابه قائلًا: معك عبدالعزيز بن باز، فقال له الشيخ -لما رأى إصرارَه-: الشيخ ابن باز ما يشوف (لا يبصر) فكيف يسوق السيارة؟! فالسائق عرف من الشيخ أنه جادٌّ، فأُحْرِجَ هذا السائق من لطف الشيخ وتواضعه. شيخٌ يُباسِطه ويمازحه.

وتأمّل كم في هذا الموقف من دلالة على تواضع الشيخ! فقد تبسّط مع هذا السائق هذا التبسُّط، وكيف ركب هذه السيارة البسيطة، مع أنه كان بإمكانه أن يَطلب موكبًا رسميًّا ولكبار الضيوف، لكن الشيخ لم يكن يبالي بهذه الأشياء أصلًا، بل لم تكن تخطر له على بال.

٢. أما موقفه مع العامّة الذين قد يتصرف أحدُهم تصرفًا يظهر للشيخ منه حسنُ القصد؛ فإن الشيخ لا يعنّفه، ولا يوبّخه، بل يتعامل معه بكل رفق، وأذكر مرة ونحن في الدرس؛ فجاء رجلٌ عاميٌّ رثّ الهيئة، فتخطى الصفوف، حتى وصل إلى الشيخ في مجلس درسه،

(١) عضو هيئة التدريس -سابقًا- في قسم السنة وعلومها بكلية الشريعة.

وأعطاه حزمة من الســـواك، فشـــكره الشـــيخُ، ووزّع السواك على أقرب الطلاب، ولم يقل له شيئًا، على الرغم من أن هذا الرجل قطع الدرس، وهذا من أكثر ما يُغضب الشـــيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وللحديث صلةٌ إن شاء الله.